

رواية "الروائيون" لغالب هلسا: دراسة سيميائية

The Novelists" by Ghaleb Helsa: A Semiotic Study

إبراهيم أبو حمّاد*

جامعة صفاقس (تونس)

IbrahimAboHammad@Yahoo.Com

ملخص: (لا يتجاوز 10 اسطر)	معلومات المقال
تناقش هذه الدراسة رواية "الروائيون" لغالب هلسا، وتتناول الدراسة التعريف بالروائي، وعدد من المحاور الخاصة بالشخصيات والبطل والزمان والمكان، وفق المنهج السيميائي، ولقد توصلت الدراسة إلى عدد من النتائج التي تحل أزمة البطل الشيوعي في الرواية، ودقه لجرس الخطر لمآلات العالم العربي من وجهة نظر الكاتب.	تاريخ الإرسال: 2023/10/07
	تاريخ القبول: 2024/10/12
	الكلمات المفتاحية: ✓ السيميائية ✓ البطل الإشكالي ✓ أدب السجون ✓ غالب هلسا.
Abstract : (not more than 10 Lines)	Article info
This study discusses the novel "novelists" by Ghaleb Halsa, and the study deals with introducing the novelist, and a number of axes related to the characters, the hero, time and place, according to the semiotic approach by The writer's point of view.	Received 2023/ 10/ 07
	Accepted 2024/ 10./ 12
	Keywords: ✓ Semiotics ✓ the problematic hero ✓ prison literature ✓ Ghaleb Halsa

1. مقدمة:

المنهج الاجتماعي: إذ إن الرواية تتضمن محتوى فكري واقعي ذو مرجعية فكرية شيوعية.

الدراسات السابقة

2. لم تتناول الدراسات الخاصة بغالب هلسا الرواية موضوع الدراسة بشكل مستقل، ولكن تناولت شذرات منها وخاصة في أعمال محمد عبدالله القواسمة، وهيام العلي... وغيرهم. وإن هذه الدراسة مخصصة لهذا العمل.

مصطلحات الدراسة

السيمائية الغربية: هي تجاوز اللسانيات الدوسيسرية إلى النظر في الشخصية ورغباتها والفواعل والعوامل والخطاطة السردية والمربع السيميائي بحثاً عن المعنى. البطل الإشكالي: البطل الذي يواجه نظام اجتماعي يزيّفه النظام الرأسمالي، فالبطل يواجه عقبات ويتفاعل معها، بطل يعاني من أزمتين تتجاوز نقاء البطل الأسطوري.

أدب السجون: السرد الأدبي لمعاناة السجين في أنظمة الاستبداد والاستعمار.

وتتضمن الدراسة ثلاث محاور رئيسة كالاتي:

المحور الأول: غالب هلسا

المحور الثاني: التحليل السيميائي للشخصيات

المحور الثالث: الزمكانية السردية

2. المحور الأول:

1.2 غالب هلسا:

غالب هلسا 1932م - 1989 روائي وقاص ومترجم أردني شيوعي كان له ترحال وحضور ثقافي في المتروبوليس العربي في القاهرة وبغداد وبيروت ودمشق، ولقد سجن غير مرة في الأردن والدول المنفي إليها، مما جعل هويته والمنفى والاغتراب وأزمة الفكر الشيوعي العربي في الداخل والخارج علامة بارزة في إنتاجه الفكري والأدبي.

تناقش هذه الدراسة العمل الأدبي الأخير للروائي الأردني غالب هلسا، الذي امتاز بنظرة أممية وثقافة أدبية لثقف عضوي، ناقشت أعماله العديد من القضايا التي عززتها مرجعيته الفكرية الشيوعية في معالجة موضوع التحرر العربي، ومعوقاته، وتجاوزه، بانفتاح على المرجعيات الفكرية الأخرى.

تكمن أهمية هذه الدراسة بمراجعة نقدية تتناول المنهج السيميائي لتحليل العمل الأدبي محل الدراسة، إذ إن الرواية تتعالتق في ثلاثة أزمتين؛ الزمن القصصي في حرب 1967، والزمن الكتابي في نهاية العقد الثامن من القرن العشرين، وزمن التلقي والقراءة في عام 2021 وبما يتضمنه من سقوط الاتحاد السوفيتي والعولمة والتطبيع مع العدو الصهيوني "اتفاق إبراهيم".

مشكلة البحث

تسعى هذه الدراسة لفحص وتحليل الرواية موضوع الدراسة سياقياً ونسقياً أو محتوياً، وعليه فإن البحث يسعى إلى الإجابة عن التساؤل الآتي:

ما المعنى الذي تتضمنه رواية "الروائيون" المطولة في المنهج السيميائي؟

حدود الدراسة

تنطوي حدود هذه الدراسة على الرواية موضوع الدراسة، وتلقيها وفق الأزمنة القصصية والسردية وزمن تلقيها.

منهج الدراسة

إن منهجية الدراسة التي تشتغل الدراسة عليها هي الآتية:

المنهج السيميائي: وذلك لتحليل الشخصيات والسرد الروائي. دون التعرض للخطاطة والمربع والفواعل والعوامل السيميائية.

العراقيين ومحاولة اغتيال فيديل كاسترو والخلاف الصيني الروسي، وموقفها من رفض تصنيع العالم الثالث، ولذا فالعلاقات البوهيمية تندرج في إطار السادية والمازوخية والسعي إلى التدمير الذاتي؛ واللذة الجنسية، وتدمير الآخر ليكون السرد قابلاً للتأويل، فتقول زينب في مضاجعتها الجنسية "كسرتني يا مجرم" (221)، والمرأة تتخذ أشكالاً مختلفة من المومس الفاضلة "تفيدة" التي تسعى إلى مساعدة حبيبها في استعادة توازنه إلى الحرة الراديكالية نسوياً "زينب" التي ترفض المؤسسة الزوجية، وذلك بشكل نسبي وفي انخيار للمطلق والقيم وبلوغ اللايقين، إن حالة الاغتراب والضيق والهذيان يرمز لها جسد زينب بقولها: جسدي لكم، الحب، كلوا واشربوا"، وذلك علامة على هزة عنيفة بالعقائد والأيدولوجيات السائدة الناجمة عن حرب 1967 (156) في العالم الروائي لغالب هلسا، وإن الوضع الواقعي أكثر فجاعة من وصف غالب هلسا، وإن عجز البطل عن تطوير رغبته الكتابية بسبب العضلات الواقعية (القواسم 191)، فهذا العجز عن الكتابة، عجز عن مواجهة الواقع، وضعف المثقف، فالبطل الإشكالي يواجه أزمات وفق مفهوم فلاديمير بروب، بطل غير أسطوري، وإنما بطل واقعي تتعرض رغبته إلى معوقات حمة (غريماس: 177-184)

يستدل من عتبات الرواية التي ترمز لها عنواناتها بأن الروائيين هم الشخصيات الساردة في الرواية مما يدل على تعددية الأصوات في الرواية ونقاشهم حول ذات المواضيع مثل حرب 1967، وأن سيميائية العنوانات الفرعية سوداوية في علامة على وهم المثقف الشيوعي وعجزه مثل "السجن" الذي يعتبر مكان معادي للمثقف و"الأوهام" فالحقائق معتمة والتي تكون في أعماق لا تطفو على السطح، و"عالم بلا أوهام" بالكشف عن حجب الهزيمة، مما يؤدي إلى نهاية مفاجئة وصادمة تدل على عبثية التغيير والكتابة ووجود المثقف الذي ينتحر على الرغم من الإمكانيات الكامنة والتي لا ترى النور مما يحيل حياته إلى "جحيم" وهو عنوان الجزء الأخير، فالبطل

ويبرز شغفه بالفلسفة الظاهرية من ترجمة "جماليات المكان" لباشلار، إذ صدرت العديد من الدراسات التطبيقية لهذه الفلسفة مما أسهم في دراسة جماليات المكان في الرواية العربية، وإن اختياراته في الترجمة أسهمت في الحدأة العربية الأدبية بنقل الإبداعات الغربية إلى العالم العربي، وتوطئتها بتصور عربي حدائي مثل رواية "الحارس في حقل الشوفان" لجيرونم ديفيد سالينجر، وهي رواية أثارت جدلاً في الولايات المتحدة الأمريكية، واعتبرت مؤامرة شيوعية؛ نظراً لنقدتها وطرحها مواضيع العزلة والهوية والانتماء والجنس والعنف اللفظي، و لغالب هلسا اهتمامات في نقد الأدب الصهيوني وترجمة رواية "الحروب الصليبية" للأديب الصهيوني عاموس عوز. وصدر لغالب سبع روايات ومجموعتين قصصيتين، وأعمالاً نقدية ومقالات صحفية، وتندرج أعماله في إطار نقد الفكر والعلاقات بين الشيوعيين، إذ إنه يعري العمل التنظيمي الحزبي الشيوعي، وينقده في إطار النقد الذاتي وأدب الاعتراف التنظيمي (أفكار 5-15)، ومثال ذلك روايته موضوع المسألة أو القراءة الموسومة بـ "الروائيون" والتي ناقشها محمد القواسمة وهيام العلي في جزئيات من دراستهم لأعماله.

3. الخور الثاني:

1.3 التحليل السيميائي للشخصيات: وإن شخصيات الرواية من إيهاب وزينب و اسماعيل وحسن هي شخصيات رئيسية في الرواية متحولة من نقاء العمل الحزبي الشيوعي إلى تلوث هذه الشخصيات في قوقعة الجنس وتعاطي الخمر "البراندي" والرديلة، ومن الواضح تأثر غالب هلسا بفوكنر من جهة طرح العلاقة بين الشمال والجنوب الأمريكي ليرمز إلى المومسات بانخيار العالم الأخلاقي، وأزمة القيم بسبب الاستبداد وهزيمة 1967 للأنظمة العربية مما نجم عنها احتلال أراضي ثلاث دول عربية في سويغات، فالرواية تجسيد لاختلاف وجهات النظر في مناقشتها لقضية مصير الحزب الشيوعي المصري، والموقف من الخط الشيوعي الصيني الذي يأتي إيهاب إلا بالوقوف على يساره نظراً لمواقفه من إعدام الشيوعيين

إيهاب في حالة من اليأس والعجز نتيجة الهزيمة، فكل شيء يمكن في الشرق الأوسط" (174).

ونظراً لتكرار شخصيات الرواية في أعمال غالب السابقة، مما يجعل من آثاره مشروع روائي متكامل بطرحه على أجزاء وفقاً لما ذكر الناقدان نبيل حداد وإبراهيم السعافين في كتاب "الرواية في الأردن" (200-212) للمذكور أخيراً؛ ومثال ذلك شخصية تفيدة وشخصية مصطفى التي وردت في رواية السؤال، فالشخصيات والأحداث والأفكار مكرورة (القواسمة 195). فكان الفيض الروائي استنزفه بسبب مرجعيته الفكرية على الرغم من انفتاحه على الأدب العالمي، فلم يغير في واقعيته لمنحها النفس الطويل.

أدخل هنا محتوى العنوان الفرعي الثاني، أدخل هنا محتوى العنوان الفرعي الثاني، أدخل هنا محتوى العنوان الفرعي الثاني، أدخل هنا محتوى العنوان الفرعي الثاني، أدخل هنا محتوى العنوان الفرعي الثاني.

4. المحور الثالث

1.4 الزمكانية السردية: السجن في الرواية مكان لانعدام العدالة، فلا تعرف متى تدخله ولا موعد الإفراج (33) فلا محاكمات عادلة، ولا حقوق إنسان داخل السجن، صراعات بين الأحزاب السياسية من وفديين وإخوان (27)، وتتضمن الرواية نقداً سياسياً للناصرين والإسلاميين، فالسجناء مومياء والحرس كلاب تنبح، لذا فالوصف موحش وتخوين للإنسان. وتتجلى بشاعة السجن في ظاهرة الزوجات في السجن "فين جوزك يا بنت" في علاقة بين سجين قوي وصبي وسيم (16) مما يشكل رمزية على علاقات القوة السائدة والانهيار أمام القوى الرأسمالية، والتوجه إلى سردية العولمة الكبرى. إذ تتزوج الأجساد وتنافر الأرواح. والفساد في المؤسسات وحتى الجيش "الجيش مجرد عزبة لعبد الحكيم عامر" (164).

تتضمن الرواية أزمنة تاريخية مثل تاريخ حل الأحزاب السياسية الشيوعية في عام 1966 و تقييم هذا الحل وبنية السلطة والاشتراكية في موازين النقد الشيوعي، وتزخر الرواية بهذيانات وتداعيات فيما يتعلق بالزمن والتذكر والاسترجاع وتيار الوعي، والتوقف لوصف الأمكنة والأحداث مثل التعليق على الهزيمة "ما فيش إنسان بيرواح مكانه إما يتقدم أو بينهار" (184) فالأخبار وتدمير الذات متحقق لم يغير من قناعة المؤلف كتابة الرواية في عام 1988 إذ إن العالم العربي تعرض لسقوط لعبة الدينامو بشكل مدوي حتى بعد هذا التاريخ، والرواية تؤكد على استمرارية التهاوي العربي، وفي البنية الزمنية يوظف تقنية الحذف مثل استخدام أيام ولثلاثة شهور والخلاصة مثل "أصبح العمل الحزبي مألوفاً بسرعة" فالسارد في الرواية عليم بالشخصيات والأحداث والوقائع يحتجب وينكشف وفقاً لوظيفته الإخبارية.

وعليه فالرواية شكلت استباق للزمن وتوقع لانهيار، ينجم عنه مزيداً من التصدع العربي والاختلالات الهيكلية، بحيث تنذر بالعجز عن بناء استراتيجية عربية في مواجهة هذا الانزلاق.

5. خاتمة: لقد تأثر غالب هلساً بمرجعياته الفكرية الشيوعية مما يعني مشروعه عمل واحد على أجزاء مختلفة رغم تأثره بالأدب المقارن، وعلى الرغم من ذلك يستمر حضوره الثقافي كعلامة بارزة في الأدب الأردني.

6. قائمة المراجع: طريقة (APA)

- السعافين، إبراهيم، تاريخ الرواية في الأردن، وزارة الثقافة، 1995.
- العدوان، مفلح فلاح وآخرون. "غالب هلساً: مبدع أردني وحضور عربي". أفكار: وزارة الثقافة ع372 (2020).

- غريّاس، ج. أ. سيميائيات السرد، ترجمة عبدا لمجيد التونسي: الدار البيضاء، المركز الثقافي العربي، 2018م.
- القواسمة، محمد عبد الله، الخطاب الروائي في الأردن، بيروت: المؤسسة العربية للدراسات والنشر، 1995.
- القواسمة، محمد عبدالله. "الخطاب النقدي في روايات غالب هلسا." مجلة مقاليد: جامعة قاصدي مرباح - ورقلة ع 3 (2012): 189 - 198. مسترجع من <http://ezproxy.yu.edu.jo:2061/Record/457276>
- هلسا، غالب، الروائيون: دمشق، الزاوية للطباعة والنشر والتوزيع، 1988م.

